

وقفه مع كتاب: اللهجات العربية الغربية القديمة تأليف: تشيم راين ترجمة: د. عبدالرحمن أيوب

الدكتور عبدالكريم مجاهد
جامعة البنات الأردنية

يحتوي الكتاب بعد التصدير على أربعة عشر فصلاً ، منها المقدمة. هذا غير الببليوغرافيا والمختصرات والإضافات والفهارس في آخر الكتاب.

وموضوع الكتاب، كما هو مفهوم من عنوانه، هو الظواهر اللهجية العربية القديمة في غرب الجزيرة العربية. وقد تناول في حديثه سمات لهجة اليمن بإجمال في الفصل الرابع، وقد فصل القول فيها في ثلاثة فصول لاحقة عن جُمَيْر والأزد وشمال اليمن. وفتح فصلاً لسمات لهجة هذيل. وكذلك فصل القول في لهجات الحجاز، فجعل فصلاً للعلل، وآخر للصوامت، وثالثاً لصرفها، ورابعاً لنحوها، فكان الفصل الرابع عشر عن سمات لهجة طيء. وهذه هي اللغات الغربية التي تمثلها لغة أهل الحجاز، في مقابل اللهجات الشرقية التي تمثلها لهجة بني تميم غالباً.

وحديثي في هذه المراجعة هو ملاحظات على الترجمة التي قام بها الأستاذ الدكتور عبدالرحمن أيوب، الذي عُرف بالتدقيق والضبط وبالمنهجية العلمية في مؤلفاته، إلا أنه في هذا الكتاب لم يكن في مستوى مؤلفاته التي نعرفها من الضبط والتحقيق والالتزام بالمنهجية العلمية المفترضة عند ترجمة كتاب يخص التراث العربي المكتوب بلغة أجنبية. وتفصيل هذه الملاحظات كالتالي:

أولاً: عدم رجوعه إلى النص الأصلي في مظهره، وإنما كان يقوم بترجمة النص

الإنجليزي بلغته. والأولى في مثل هذه الحالة أن ينقل النص بلفظه العربي من مصدره؛ لأن هناك فرقاً بين النص بلغته الأصلية وبين النص مترجماً إلى الإنجليزية ثم إعادة ترجمته إلى العربية. ولا يخفى ما في ذلك من تغير في فهم النص؛ إذ النص الإنجليزي تعبير عن مفهوم المؤلف، ونقل النص الإنجليزي إلى العربية تعبير عن مفهوم المترجم. وهكذا تعددت المفاهيم وأصبحت كأنها هي الأصل. وكان الأحرى بالأستاذ أن يتفضل باقتباس النص الأصلي ولو في الهامش؛ لأن الترجمة الإنجليزية قد تكون غير دقيقة. وذكر النص الأصلي العربي يتيح للقارئ، خاصة الباحث، المقارنة والتمييز بين فهمه وفهم ناقله إلى الإنجليزية. فانظر، أيها القارئ، كيف كانت ترجمة النص الأصلي وهو «تيامنوا عن كشكشة تميم وتياسروا عن كسكسة بكر» حيث يقول المترجم العربي عن النص الإنجليزي (ص ٥٣، فقرة ز): «تتجنب كشكشة تميم عن يمينها، وكسكسة بكر عن يسارها...!؟ إنها ترجمة حرفية لا معنى لها تمت دون الرجوع إلى النص الأصلي.

ومما يمكن إلحاقه بالملاحظة السابقة النقول التي يذكرها المؤلف بإجمال، ويشير إلى مصدرها. وفي تصوري أن المسألة في الترجمة تكون أقرب إلى التحقيق الذي يقتضي من المترجم الاعتناء بالتوثيق، بأن يرجع إلى المصدر الذي نقل عنه المؤلف، ويقتبس النص في الهامش على الأقل؛ لأن فيه وضوحاً ودقة أكثر. وقارن معي بين ما ذكره المترجم (في الفقرة ص / ص ٥٤): «إن القرآن بأكمله نزل بهذه اللهجة (يقصد لهجة قريش) لأنها عذبة صافية»، وبين ما جاء في النص الأصلي «إن كلام قريش سهل لين واضح». وأظنك تدرك معي أن السهولة والوضوح غير العذوية والصفاء، فالوصفان الأخيران يصلحان وصفاً للماء أكثر من صلاحيتهما وصفاً للكلام. وفي الموضع نفسه ذكر المترجم ما نصه: «ليس في القرآن من مفردات غير قرشية سوى ثلاث كلمات»، وأعتقد أن الباحث أو القارئ لا بد أن يتوق إلى معرفة هذه الكلمات، ولكن المترجم لم يرجع إلى النص في مصدره. والكلمات المقصودة هي: «فَسَيُغْفَضُونَ» (الإسراء - ٥١)، وهي بمعنى يحركون رؤوسهم، و«مُكَيِّتَاتُ» (النساء - ٨٥)، بمعنى مقتدر، و«فَشَرُّدٌ بِهِمْ» (الأنفال - ٥٧).

وا نظر معي أيضاً هذا النص الذي ابتسره المؤلف وتبعه المترجم دون الرجوع إلى

أصله، وقد جاء في الإتيان (ط البابي الحلبي، ط الثانية ١/ ١٣٥) لبيان حكم القراءتين في الآية الواحدة، وهو: «حكى أبو الليث السمرقندي قولين: أحدهما أن الله قال بهما جميعاً، والثاني أن الله قال بقراءة واحدة، إلا أنه أذن أن تقرأ بقراءتين ثم اختار توسطاً وهو أنه إن كان لكل قراءة تفسير يغاير الآخر فقد قال بهما جميعاً، وتصير القراءتان بمنزلة آيتين مثل: «حَتَّى يَطْهُرْنَ» (البقرة — ٢٢٢). وإن كان تفسيرهما واحداً، فإنما قال بأحدهما، وأجاز القراءة بهما لكل قبيلة على ما تعود عليه لسانهم فإن قيل: إذا قلت إنه قال بأحدهما، فأئى القراءتين هي؟ قلنا التي بلغة قريش». وقد جاءت ترجمة هذا النص ص ٥٤ / فقرة ص كالتالي: «ويستعمل أبو الليث السمرقندي عنصر اللهجات في نقد النصوص فيقول: إذا اتفق معنى قراءتين فإن هذا يدل على أن النبي قرأ بواحدة منهما ولكنه سمح لأبناء القبائل الأخرى بتلاوة القرآن وفقاً لاستعمالاتهم اللغوية. فإذا سأل سائل إذا قلت بأن النبي قد قرأ بطريقة واحدة فما هي هذه اللهجة؟ قلنا إنها الطريقة التي تتفق مع لهجة قريش». وهذا الكلام عندما تقارنه بالنص الأصلي تجده أقرب إلى التلخيص الصحفي قام به المترجم مريحاً نفسه من عناء ترجمة النص الإنجليزي بلفظه، ومن الرجوع إلى النص الأصلي العربي؛ إذ النص الذي ذكره المترجم ينقصه الدقة والتفصيل اللذان جاء في النص الأصلي.

وهناك نص آخر أورده المؤلف نقلاً عن النيسابوري الذي أخذه عن ابن فارس من كتابه الصحابي، وقام المترجم بنقل النص إلى العربية دون الرجوع إلى أصله في مصدره وهو كتاب الصحابي الذي جاء فيه: «كانت قريش أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ وأسلسها على اللسان عند النطق، وأحسنها مسموعاً، وأبينها إبانة عن النفس ومن أفواهم أخذنا العربية الفصحى...» وقد جاء مترجماً عن النص الإنجليزي كالتالي: «إن قريشاً تفوق كل العرب في دقة اختيارها للألفاظ، فقد كان كلامهم سهلاً سائغاً، وكان لهم إحساس مرهف باللغة وقدرة فائقة على التعبير عن أفكارهم ومن أقوالهم دونت الفصحى». وهذه رواية بالمعنى لا باللفظ، والفرق بينهما واضح فإن قوله: كانت قريش أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ، غير قول المترجم: إن قريشاً تفوق كل العرب في دقة اختيارها للألفاظ، فالدقة غير الفصاحة، وهكذا....

ومن هذا القبيل ما ابتسره رابن ص ٧٤ حين ذكر قصة الأعرابي الذي أساء فهم

كلمة «وثب» الحميرية حيث جعل الملك الحميري يقول: «ليس عندنا عربيت». وكنت أتمنى على المترجم أن يذكر الحكاية بالتفصيل كما وردت في كتب التراث، وهي كما جاءت في اللسان مادة وثب: «الوثب القعود في لغة حمير، ودخل رجل من العرب على ملك من ملوك حمير فقال له الملك: ثب أي اقعد، فوثب فتكسر. فقال الملك: ليس عندنا عربية كعربيتكم، قال ابن سيده: وهو الصواب عندي، لأن الملك لم يكن ليخرج نفسه من العرب».

ويذكر المؤلف رابن فيما أورده المترجم ص ٩٩: «إن استعمال الأداة أم في لغة حمير وفي نقوش الهمداني وفيما قالت أم وهب» ويجدر هنا أن يبين المترجم من هو وهب؟ وماذا قالت أمه؟ ووهب هو ابن منبّه وقد قالت والدته: «رأيتك (أي رأيت) بنحلم كولدك (أي ولدت) ابناً من طيب».

ثانياً: وما يتبع هذا الأمر أو يعتبر من قبيله مما أهمله المترجم من عدم توثيقه أبيات الشعر أو تحقيقه، خاصة أن المؤلف كان يعالج أمثلة أو شواهد لغوية يقتبسها من أبيات من الشعر لا يذكرها، وكان على الأستاذ المترجم أن يبحث عن هذه الأبيات في مظانها ويذكرها في الهامش. مثال ذلك ما جاء في ص ٢٢ من أن الأندلسي يعتقد بأنه سيجد في الشعر كي بمعنى كيف، وإما أن يكون هذا في لهجة الشاعر أو أن الفاء قد سقطت للضرورة الشعرية. (نقلًا عن الاسترأباني في شرح الكافية ١١٧/٢). ولم يذكر المؤلف بيت الشعر، وكان على المترجم أن يحقق المسألة في المرجع المذكور حيث يقول في شرح الكافية ١١٧/٢: «وجاء في كيف، كي قال:

أوراعيان لبعرانٍ شردنَ لنا كي لا يحسان من بعراننا أثراً

قال الأندلسي: إمّا أن يقال هي لغة في كيف أو يقال حذف فاء كيف ضرورة». وفي موضع ثانٍ يقول المؤلف: «والكلمة المقترضة من اليونانية إقليد، أي المفتاح، مأخوذة من اللهجة اليمينية؛ لأنها وقعت في سطر شعري معزوّ إلى تبّع» ولم يذكر بيت الشعر. وهنا لا بدّ أن يظهر جهد المترجم: لأن القارئ في هذه الحالة يتسوق إلى معرفة بيت الشعر الذي جساءت فيه

معرفة بيت الشعر الذي جاءت فيه هذه الكلمة، وهو البيت الذي جاء على لسان تَبَّع حين حج البيت فقال:

واقمنا به من الدهر سَبْتاً وجعلنا لبابه إقليدا

وكذلك يذكر المؤلف رابن ص ٦٩: «إن الفعل (عطا) يُعَدَى أحياناً بـالي» معتمداً على شرح شواهد المغني للسيوطي، ولكنه لم يذكر البيت الشعري الذي يشهد لذلك. وفات المترجم كذلك أن يرجع إلى المرجع المذكور ويقتبس الشاهد في الهامش وهو:

ويوماً توافينا بوجه مقسّم كأن ظبيّة تعطو إلى وارق السَلَمِ

وشبيه بما سبق ما ذكره رابن ص ٧٤ من أن صيغة فَعَال تأتي للمذكر، كما هي للتأنيث. وقد ذكر أن ذلك قد ورد في معلقة لبيد العامري في البيت الثاني والخمسين، حيث اسم الكلب الذكر سُخَام، إلى جانب الأنثى كُساب. ولم يكلف المترجم نفسه أن يذكر البيت في الهامش وهو:

فتقصّدت منها كُساب، فضرجتُ بدم وغودر في المكرّ سخامها

ومما استدعي الرجوع إلى الشاهد الشعري في مظانّه وتوثيقه، ما أورده المؤلف رابن وجاءت روايته مغلوطة عند المترجم ص ٧٨، ويحتاج إلى تصحيح وتعليق، وهو الشاهد على نطق أم بدلاً من آل التعريف العربية حيث ورد في الترجمة:

ذاك خليلي وذو يعياتبني يرحب ورائي بمسّهم ومسلّمه

والرواية الصحيحة كما أوردها البغدادي في شرحه على شواهد شرح الرضي على الشافية ٤/٤٥١:

ذاك خليلي وذو يعياتبني يرمي ورائي بامسّهم وامسلّمه

والفرق بين الروایتين واضح، ولكن المترجم لم يحقق البيت، ولم يكلف نفسه عناء شرحه فكلمة السَلَمه جمعها السَلِم أو السَلَام وهي الحجارة. وقد وردت رواية أدق من هذه في المرجع نفسه ٤/٤٥٢، وجاءت كذلك في شرح الأشموني ١/١٩٢، منسوبة إلى بجير بن عَنَمَة الطائي وليس ابن غنَمَة أو عَنَمَة حيث يرى شارح الأشموني أن النحاة قد ركبوا هذا البيت من اثنين مع تغْيُر في صدر أولهما والصواب في الأمر أن ينشد

كالتالي:

وإن مسولاي ذو يعاتبني لا إحنئة عنده ولا جرمه
ينصرني منك غير معتذر يرمي ورائي بامسهم وامسلمه

والجدير بالذكر أن هذه اللهجة ما زالت متداولة في اليمن في لواء إب، وقد سمعتها من أحد طلابي بجامعة صنعاء من سكان مدينة جبلة حيث يقول: أمسجد وأمدرسة ولكن بكسر الهمزة. وقد ذكر لي أحد الطلاب أن هذه اللهجة موجودة أيضاً في منطقة ذباب بلواء تعز وأنشدني قول شاعرهم:

حنسان على زعرو حتى امطيور تبكي
وزعرو قضى ستين وامقلب بيردشي

وزعرو اسم رجل كان يتصف بالشجاعة على ما يبدو، أو إنه محب. وأمطيور وامقلب، أي الطيور والقلب. ويبردشي أي لم يبرد قلب زعرو حتى بعد وصوله سن الستين.

وقد يذكر المترجم بيتاً من الشعر ص ٨٢ نقلاً عن الأصل الإنجليزي بصورة خاطئة في مثل:

ما زال شيبان شديداً خبصه حتى أتاه قرئته فوقصه

وكان عليه أن يرجع إلى نص البيت في مظاهره، وخبصه الصحيح فيها خبصه وهو العدو الشديد. وفي رواية اللسان هبصه وليس حبصه أو خبصه. والهبص هو النشاط والعجلة، والوقص هو الكسر.

وقد نجد المؤلف راين يقول فيما أورده المترجم ص ١١٢: إن سيبويه يستشهد ببيت من الشعر يهجو عنزة، وكان شيئاً جميلاً من المترجم لو ذكر هذا البيت في الهامش حتى يضع القارئ في الصورة، والبيت لزياد الأعجم وهو:

عجبت والدهر كثيرٌ عجبُهُ من عَنزِي سَبْنِي لم أَضْرِبْهُ

ثالثاً: قد حدث في الآيات القرآنية مثل الذي حدث في أبيات الشعر، حيث كان المؤلف رابن يذكر رقم السورة ورقم الآية فيها، فمثلاً في الفصل الرابع بعنوان اليمن، الفقرة «ر» يذكر رقم السورة بالأرقام اللاتينية XXXVIII ورقم الآية ١٢٥. ويقوم المترجم في مثل هذه الحالة وغيرها بترجمة هذه الأرقام إلى أرقام عربية وينتهي الأمر عند هذا الحد. وهو لم يُصَب في ذلك، بل عليه أن يذكر اسم السورة ورقم الآية، وفي الهامش يذكر الآية؛ ليرك للقارئ فرصة للتمييز بين المعاني في مثل: كلمة بعل التي ترد بمعنى الرب في الآية الكريمة التي ذكر رقمها آنفاً وهي ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾. وفي آية أخرى تذكر مع سورتها رقمياً فقط (Xi-72) أي سورة ١١ - آية ٧٢، والمقصود طبعاً الآية ٧٢ من سورة هود التي ترد فيها كلمة بعل بمعنى زوج، وهنا يفترض أن يذكر الآية بنصها وهي ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتِي أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾. وأعتقد أن الاكتفاء بذكر أرقام السور والآيات لا يجدي القارئ نفعاً، بل قد يتركه في حيرة وضيق.

رابعاً: عدم عناية المترجم بشرح المصطلحات أو تفسيرها مثل المصطلحات اللهجية التي تصف ظواهر لهجية وردت في كلام بعض القبائل مثل: عنعنة تميم وتلتلة بهراء والرُّتة واللخاخانية في العراق وفشفسشة تغلب وتضعج قيس وعجرفية ضبّة، التي يمكن تفسيرها كالتالي: العنعنة: إبدال العين من الهمزة مثل: أن — أعن

التلتلة: وهي كسر حرف المضارعة مثل: تعلم وتديري

اللخاخانية: من لخ في كلامه بمعنى جاء به ملتبساً، وقيل هي العجز عن إرداف الكلام بعضه ببعض. وقيل هي عجمة ولكنه في المنطق كما ورد في اللسان. وأما في فقه اللغة للثعالبي ص ٧٣ فهي مما يعرض في لغات أعراب

الشُّحْرُ وعُمان كقولهم: مشا الله كان، يريدون: ما شاء الله.

والفشفشة: لم أجد لها تفسيراً عند أحد. وأما التَضُّجُ: فقيل إنه إمالة الحرف إلى الكسر. والعجرفية: جفاء في الكلام. والرُّتَّةُ لها أكثر من معنى في اللسان كالعجلة في الكلام، وقيل هي قلب اللام ياء، وقيل هي العجمة، وقيل الأرتُّ هو الذي في لسانه عقدة وحبسة.

وقد وردت أسماء كثيرة في النص الإنجليزي تحتاج إلى بيان مثل: المشناه وقد ذكرها المترجم دون تعليق أو تحقيق وهي: مجموعة القوانين غير المكتوبة التي جمعت حوالي ٢٠٠ بعد الميلاد، وتشكل أساس التلمود اليهودي. وكذلك الميلاه العبرية وهي كتاب بالعبرية للمؤلف رابين يبحث في علاقة اللهجات العربية القديمة بالعبرية. ومثل ذلك السامخ ص ٦٢ وهو أحد الحروف العبرية وهو غير السين وإن التيس لفظه بلفظ السامخ في مرحلة لاحقة.

ومثل ذلك مصطلح Proto - Arabic ص ٥٢ وتفسيره أن بعض السدارسين يعتقدون أن العربية قد مرت في نشأتها بأكثر من مرحلة، ومرحلتها الأولى المسماة Pre - Arabic أي المرحلة التي كانت جزءاً غير منفصل عن السامية الأم. والمرحلة الثانية Proto - Arabic وهي المرحلة التي ذكرها المؤلف وبها استقلت العربية عن السامية الأم، ولكنها في هذه المرحلة لم يكتمل نضجها لتصبح لغة أدبية. وتأتي بعد ذلك المرحلة الثالثة وهي مرحلة النضج والاكتمال، أي اللغة التي تصلح للشعر والكتابة. ومثل ذلك مصطلح شعر الزوامل ص ٧٥، والزُمَّلُ في اللسان هو الرجز، والزاملة بغير يُحْمَلُ عليه المتاع والطعام، ويبدو أن المقصود بشعر الزوامل هو ما يقوله الشعراء في حذاء الإبل في أثناء السفر مع القوافل التي تحمل فيها الإبل الأمتعة وعروض التجارة.

وكذلك وردت بعض الألفاظ المبهمة (ص ٨٩) تحتاج إلى تفسير وشرح وهي: الغنم بمعنى النطق بلكنة أعجمية، والنوك بمعنى الحمق، والتعقدُ أي صعوبة الفهم. وكذلك تنوين الترئم ص ٧٩، وفي المغني (١/ ٢٧٧-٢٧٨) هو: الترئم اللاحق للقوافل المطلقة بدلاً من حرف الإطلاق الذي قد يكون الألف أو الواو أو الياء وذلك في إنشاد بني تميم. وقد صرح سييوييه.. إنه جيء به لقطع الترئم، وإن الترئم هو التغني،

يحصل بأحرف الإطلاق لقبولها لد الصوت فيها، فإذا أنشدوا ولم يترنموا جاؤوا بالنون في مكانها ولا يختص هذا التنوين بالأسماء، ومن أمثلته:

أَقْلَى اللّوْم عَاذِلْ وَالعْتَابِنِ وَقَوْلِي إِنْ أَصَبْتَ لَقَدْ أَصَابِنِ

والأصل العتابا وأصابا. وقد جاء في شرح الكافية ١ / ١٤: «وأما تنوين الترتم فهو في الحقيقة لترك الترتم عند بني تميم في رويّ مطلق».

ومثل ذلك الأصوات الأسنانية ص ٧٧ مثل التاء والتاء والذال والذال فيقال: أمتعب، أمثلاثة؛ فلا تدغم لفظاً مع التالي لها مثل آل. وكذلك الصوامت الصغيرية كالسين والزاي فيقال: أمسيف، أمزهر، بعكس ما إذا كانت مع آل فإنهما يدغمان معها لفظاً. وكذلك الأصوات الهسيسية، ص ٩٩ كصوت السين وهي نوع من أنواع الأصوات الصغيرية. وكذلك المقطع المقل ص ١١١ وقد سماه المترجم المقطع المقفول أي من قفل وهو خطأ لغوي واضح ولم يفسره كذلك، وهو المقطع الذي ينتهي بصامت أو أكثر (أي: ص ح ص) مثل لَمْ (ل + فتحه + م) في حال وصل الكلام.

أما في وقف الكلام مع التنوين فيكون المقطع طويلاً مقفلاً بصامتين (أي: ص ح ص ص) مثل: بَحْرٌ التي يوقف عليها بَحْرٌ.

خامساً: لقد ورد في النص الإنجليزي ما يستحق التعليق وإبداء الرأي فيه ولكن المترجم لأمر ما كان يتفاداه ويتجاوزته بأن لا يذكره أو لا يعلق عليه، مثال ذلك ما ذكره المترجم ص ٤٧ فقرة ١: «أما بقية أنحاء الجزيرة فقد كان لها لغة مختلفة تماماً عن الفصحى، وهذه اللغة هي الأصل الذي نشأت عنه اللهجات الحضرية» ووقف عند هذا الحد ولم يكمل مقولة فوللرز التي يذكرها المؤلف رابن وترجمتها: «وهي التي نزل بها القرآن الكريم وأعيدت كتابته بأسلوب العربية الفصحى» وهكذا يرى فوللرز أن الفصحى التي رواها اللغويون العرب ووجدت في القرآن ونسج على منوالها الشعراء إنما هي مصنوعة وينكر أنها كانت حية في مكة، في عهده صلى الله عليه وسلم. وهل هذا حديث يمكن إهماله وتجاوزه وغض الطرف عنه وعدم الرد عليه؟! بل إن الدكتور عبدالرحمن أيوب قد ارتكب خطاين منهجين أولهما: حذفه جزئاً من النص الأصلي. وثانياً: انيها: ع — دم

تعليقه على هذا الجزء. وكيف يكون للمؤلف الجرأة على الطعن في لغة قرآننا ولا نملك الجرأة على الرد عليه؟!.

وأما ادعاء فوللرز بأن النحاة هم الذين اصطنعوا ظاهرة الإعراب إذ لم يكن لها وجود حقيقي في مكة، في رأيه، فقد وجد من المستشرقين من يرد عليه مثل نولدكه الذي أثبت أن النهايات الإعرابية لا يمكن أن تكون من صنع النحاة، وما قاموا به إنما هو تسجيل لما وجدوه في الشعر جاهلياً وإسلامياً وفي القرآن الكريم.

ومما ذكره المؤلف في النص الإنجليزي ص ٢٠ وسكت عنه المترجم ولم يأت على ذكره في النص المترجم ما جاء في الفقرة التالية: من ص ٥٢ «لم يَصِفْ ثقيفاً إلا بالبراعة في استعمال القلم. وقد تكون نسبة هذه الشهرة إلى ثقيف ذات هدف سياسي...» وهنا يكمل المترجم الفقرة من عنده بقوله: هو أن تؤيد الفكرة التي شاعت من أن لغة القرآن حجازية» في حين أن المؤلف في النص الإنجليزي قد ذكر شيئاً آخر وهو: «الترويح لإعجام الحجاج للقرآن الكريم» وهنا لا بد لي أن أسجل ملاحظتين أولاهما: أنه لم يجرِ على يدي الحجاج أية مراجعة أو تنقيح Revision للقرآن الكريم والمعلوم تاريخياً لدى الدارسين أن إعجام القرآن الكريم أي نُقِطه قد حصل أيام ولايته على العراق بأمر من عبد الملك بن مروان، على يدي نصر بن عاصم الليثي ويحيى بن يعمر العدواني وثانيتها: هي أن الأصوب في ترجمة Revision الإنجليزية هي كلمة الإعجام العربية، وليس التنقيح أو المراجعة ليصبح الأمر أقرب إلى ما ثبت تاريخياً؛ لأن التنقيح أو المراجعة يوحيان بما أراد فوللرز الترويح له وبموافقة رابن له. وهكذا يكون المترجم قد سمح لنفسه التغيير في النص الإنجليزي الذي هو:

to give wider currency to Hajjaj's revision of the koran

وقد قدمت ترجمتها بإيجاز غير مخل وهو بعيد عن قول المترجم: «تؤيد الفكرة التي شاعت من أن لغة القرآن حجازية» فانظر، وتأمل أخي القارئ، ما وقع فيه من خطأ علمي ومنهجي.

وقد ورد في الفصل الرابع الفقرة d في النص الإنجليزي ص ٢٧ كلمة «بعل» بمعنى الرب: «وأنها بهذا المعنى يمكن أن يكون محمد (ﷺ) قد اقترضها من العربية الجنوبية...» «...In this sense the word may have been borrowed by Muhammad...»

وانظر كيف ترجمها الدكتور أيوب ص ٦١: «وقد تكون الكلمة القرآنية اقتراضاً من العربية الجنوبية» وهكذا يتغاضى مرة أخرى عن النص الأصلي ويسكت عن هذا السم الذي بثه رابن؛ لأنه بإسناد الاقتراض في القرآن الكريم لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ترويح للمقولة المفتراة على القرآن الكريم وعلى الإسلام بأن القرآن من وضع محمد عليه الصلاة والسلام، وليس منزلاً عليه؛ مما يعني أنه ليس نبياً مرسلًا من عند الله. ولا أستطيع تبرير إغفال المترجم لهذا النوع من الافتراء.

ومما تغاضى عنه المترجم كذلك في ص ٦٤ ما سماه رابن في النص الإنجليزي بالسهل اليهودي في فلسطين. ومن الحقائق الجغرافية المعروفة أنه لا يوجد سهل بهذا الاسم في فلسطين.

سادساً: ما وقع فيه المترجم من أخطاء في الترجمة نفسها كقوله مثلاً ص ٦٠ «الطبقة اللغوية السفلى التي سبقت دخول العربية لهذه المناطق كانت قليلة الشأن» وهو هراء لا معنى له، وأدق منه أن يقال: «إن المادة الأساسية من العربية السابقة على عربيتنا Pre - Arabic كانت طفيفة أو قليلة جداً». كذلك لقد جاء في ص ٥٦ (فقرة ظ) ما نصه مترجماً: «أنا أفصح العرب بيد أني من قريش ونشأت في بني سعد» ثم يردفه المؤلف وينقله المترجم: «ولهذا الحديث في رأيي تفسير واحد هو: لولا أني من قريش ونشأت في بني سعد لكنت أفصح العرب أو رغم أني من قريش ونشأت في بني سعد فأنا أفصح العرب» ومن يقرأ هذه الترجمة يدرك خطأها فلا يفهم منها سوى عكس ما أريد منها؛ فما أورده المترجم يعني أنه ﷺ ليس بأفصح العرب لأجل ولادته في قريش ونشأته في بني سعد، وحاشاه أن يكون الأمر كذلك. وعليه فإن الترجمة الصحيحة، التي يستفاد منها أنه أفصح العرب بسبب ولادته في قريش ونشأته في بني سعد، وهو الأمر الطبيعي، هي كالتالي ترجمة لقول المؤلف: «ينبغي أن أكون من أفصح العرب من أجل أنني ولدت في قريش ونشأت في بني سعد» أو ربما نفهم منه أيضاً: «أنا أفصح العرب لأنني ولدت في قريش ونشأت في بني سعد، ويعزو ابن هشام سبب ذلك إلى البيداء» وينتهي كلام المؤلف وقد حذف المترجم منه قوله (ويعزو ابن هشام سبب ذلك إلى البيداء). ومما يؤيد ترجمتي السالفة هو ما أضافه رابن في الهامش ما ترجمته «يمكنني أن أعتبر أن

(نشأت) بمعنى قد نشأت وذلك يعني: أنني أتكلم بأفصح عربية؛ وذلك لأنني ولدت في قريش ونشأت فيما بعد في سعد، وإن مراجعة دقيقة من المترجم كانت ستجعله يدرك خطأ ما نقله في ترجمته.

وقد ورد خطأ آخر للمترجم ص ٦٩ حين يذكر في الفقرة ز: «وفي لغة اليهود الصفديين في غرب أوروبا» والترجمة الصحيحة هي: «واليهود الشرقيون (السفارديم) في غرب أوروبا، وعليه يكون قد ترجم كلمة Sephardic التي وردت في الأصل بكلمة «صفديين»، وكأنه لا يعلم أن اليهود قسمان سفارديم وهم الشرقيون وأشكنازيم وهم الغربيون، ولا محل لكلمة الصفديين هنا.

وفي موضع آخر ص ٩٧ نجده يأتي بكلمة أخرى وهي (بربري) التي لا محل لها في قوله (أقصد المترجم): «ومن هذا يمكن أن نفترض أن معنى طمطم كان في الأصل ضعيف العقل ثم تطوّر إلى بربري» والترجمة الصحيحة في رأبي هي: «ربما كانت طمطم (وليس طمطم كما وردت عند المترجم) في الأصل، الأحق أو الأبله وبعد ذلك صارت تعني الغثم وعدم الفصاحة، وعليه فكلمة بربري لا معنى لها هنا، إلا أن يكون المترجم قد نقل الكلمة الإنجليزية نفسها أي بلفظها دون معناها. وأما ما ذكره لكلمة طمطم وليس (طمطم) فلأنه لم يرجع إلى نص البيت الذي قاله عنتره، وإنما اعتمد على الضبط الأجنبي لها فخدع، والبيت هو:

تاوي له جِرْقُ النعامِ كأنها جِرْقُ يمانيسةَ لأعجمِ طمطمِ

والبيت له أكثر من رواية في اللسان وفي صحاح الجوهري، والجِرْقُ هي الجماعات أو الفرق.

ونجده كذلك يذكر مصطلحاً آخر لتفوير القاف أي النطق الحنكي لها ويسميه التصليب الإدغام ص ١٠٨ وهي ترجمة بعيدة عن المعنى المقصود، في رأبي. وفي الصفحة نفسها يترجم القات، وهو النبات الذي يوضع في اليمن، بقوله: «قات النبات المخدر المستعمل في اليمن» والقات لا يحدّر عند استعماله بل يقوم بعملية تنشيط ذهني كما يقول اليمنيون فكان طلابي في الجامعة يستعينون به في أيام امتحاناتهم ليعينهم على السّهر والاستيعاب.

ومن متابعتة المؤلف فيما وقع فيه من خطأ ما أورده ص ١١٢ في رواية البيت التالي:

وقال ربيعهم لما اتانا بكفه فومّة أو قومتان

والصحيح فيها «ربيتهم» وليس ربيعهم فلو رجع إلى النص في مصدر تراثي كاللسان لوجدها كذلك؛ لأنه لا معنى لوجود ربيعهم، وكان عليه أن يشك في الأمر.

سابعاً: وهو مما يمكن إلحاقه بالملاحظة السابقة ويتمثل فيما أورده المترجم من أخطاء في الأعلام، فمثلاً في ص ٧٦ ترجم بدو المخا إلى بعض مخا، والمخا ميناء يماني غرب مدينة تعز بحوالي ٧٠ كم ويقطن حوله بدو. وفي ص ٧٨، يذكر المترجم نمر بن طولب بدلاً من النمر بن تُولب، وهو خطأ ناتج عن عدم رجوعه إلى النص الأصلي. وفي ص ٨٩ يذكر: حضر وسخلان ويحضب والصحيح فيها: حضر وسخلان ويحضب كما وردت في كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني. وفي ص ٩٠ يضبط كلمة زُبَيْد بضم الزاي وفتح الباء والصحيح فيها فتح الزاي وكسر الباء أي زُبَيْد وهي مدينة يمنية مشهورة بالعلم والعلماء في علوم اللغة والدين الإسلامي. وفي ص ٩٢ يذكر المترجم: ظنفر بدلاً من ظفار، والكُكع بدلاً من الكُلاع، وقتب بدلاً من قتاب، والمعافير بدلاً من المعافر، وأبيان بدلاً من أبين وكلها مناطق في اليمن. وكذلك يتكرر عنده قبوله اليمن الشمالية بدلاً من شمال اليمن، وهو خطأ واضح لأن المؤلف راين لا يقصد المصطلح السياسي وإنما يقصد التقسيم الجغرافي اللغوي؛ لأنه يفرد فصلاً خاصاً بعنوان اليمن، وفصلاً آخر بعنوان شمال اليمن.

كذلك يذكر في ص ١٠٠: السبيحي ورايما وياريم متبوعاً فيها الضبط الأجنبي والصحيح فيها: الصبيحي، ورَيْمَه ويريم، وهي أسماء لقرى يمنية.

وفي ص ١١٢ يذكر اسم الشاعر يعلى بن الأحول الشكري، أو اليشكري، الأزدي وهو الاسم الصحيح للشاعر كما جاء في الخصائص ١/١٢٨، خطأ حيث يورده يعلو بن الأحوال الشكري. وفي الصفحة نفسها يذكر كذلك قبيلة كلب بدلاً من كلاب، ولو رجع إلى النص الأصلي في شرح الكافية ٢/١١ لوجدها: «بنو عقيل وقلاب يجوزون حذف الوصل».

ثامناً: يذكر المؤلف أحياناً بعض السمات اللهجية المتوارثة ولا يضرب مثلاً يوضحها من اللهجات الحديثة، ويعفي المترجم نفسه كذلك من هذا الأمر. مثال ذلك ما يورده ص ٤٠ عن المميز اللهجي - كُ الحميرية، ولا أعتقد أن القارئ مهما بلغت درجة استيعابه أن يفهم هذا المميز دون أن يوضح بمثال، وهي ظاهرة لهجية مميزة في اليمن في منطقة إب، حيث سمعتهم يقولون: قَا قُلُّكُ لك، وأخذُكُ وَحَفَّظُكُها الدرس، أي: قد قلتُ لك، وأخذتُ وحفظتُها الدرس.

وفي مكان آخر ص ٦٥ يذكر المترجم: إن الفتحة الطويلة لا تتحوّل إلى ضمة نصف ضيقة أو ضمة طويلة، في أي مكان في اليمن. والأمر عند القارئ بحاجة إلى توضيح هنا أيضاً، ويجدر بالمترجم العربي أن يغتنمه ليفيد قارئه العربي. والتوضيح كما استوحيته من كتاب فقه اللغات السامية لبروكلمان ص ٥٣ (ترجمة د. رمضان عبد التواب) وبيانه: لا يحصل في اللهجة اليمنية أن تتحول الفتحة الطويلة (الألف) في مثل كلمة (سالم) إلى ضمة طويلة، أي تصبح (سولم) كما يحدث في العبرية والآرامية الغربية أو السريانية الغربية حيث تتحول a إلى 0، فمثلاً (قاتل) العربية نجدها في العبرية Kōtel وفي الآرامية الغربية Kōtel.

ويذكر المترجم الشنشنة ص ٩٨ وهي قلب كاف المخاطبة شيئاً، وهي ظاهرة لهجية «تشيع في العربية الجنوبية الحديثة التي تقلب الكاف شيئاً دون شروط، وفي لهجة حضرموت تصير الكاف الأخيرة شيئاً في بعض الحالات مثل: عليش - عليك». والحقيقة في هذا الأمر أن الكاف التي تقلب شيئاً ليست أية كاف أخيرة وإنما كاف المخاطبة فقط وهي الشنشنة، وهي غير الكشكشة التي تقلب فيها الكاف حرفاً مزجياً دون شروط أقرب إلى لفظ الحرف اللاتيني H ولم يجد علماؤنا القدامى حرفاً أقرب إليه من الشين فرسموه شيئاً. والشنشنة مسموعة ومعروفة في جنوب اليمن وقد سمعتها بنفسي من رجل في تعز، وهو يسأل طفلة صغيرة كانت تبكي فقال لها: مالش؟ بشين محققة تماماً، وهي لهجة معروفة في حضرموت. وقد ذكر لي أحد طلابي في كلية التربية - تعز شيئاً من أغنية معروفة عندهم:

يا مَرَحِباً بِشْ وَبِهَلِشْ

وبالجمل اللي رَحَل بِشْ

أي: يا مرحباً بك وبهَلِكْ، وبالجمل اللي رَحَل بك. (أي مرحباً بك وباهلك وبالجمل الذي رحل بك).

وفي ص ١١٣-١١٤ يذكر المترجم تقصير حركة الضمير المتصل، ترجمة عن المؤلف حيث جاء: «يظهر الضمير ساكناً وقبله ضمة وهو مماثل لهذا الضمير في اللهجات المعاصرة وهو شبيه بنفس الضمير في العبرية الذي يظهر في صورة ضمة طويلة». ويحتاج هذا الأمر إلى توضيح مفاده بأنه يقصد ضم ما قبل الهاء بإلقاء حركة الهاء على ما قبلها في مثل عَجْبُهُ وأضْرِبُهُ من بيت الشعر المستشهد به ولم يذكره المؤلف في المتن ولا المترجم في الهامش وهو:

عجبت والـدهرُ كثيرٌ عَجْبُهُ من عنزِي سَبْنِي لم أضْرِبُهُ.

وقد حَلَّت هذه الحركة محل الهاء في اللهجات العربية المعاصرة وقد وقع مثل ذلك في العبرية أيضاً، حيث لا يظهر من الهاء المضمومة الدالة على الغائب سوى ضمة مماله (انظر بين العربية ولهجاتها والعبرية، للدكتور محمد بحر عبد المجيد ص ٩٩). والدكتور أنيس فريحة يرى أن مثل هذا الأمر موجود في السريانية، وقد تأثرت به اللهجة اللبنانية في قولهم كتَابُو في كتابه. (انظر: اللهجات وأسلوب دراستها ص ٧٨). وهذه الظاهرة عامة في اللهجات العربية المعاصرة كلها.

وبعد، فإن هذه الملاحظات لا تقلل من الجهد الذي بذله الأستاذ الدكتور عبدالرحمن أيوب، راجياً أن يتسع صدره لهذه الملاحظات، ومثله جدير بذلك. ولا نية لي من ملاحظاتي هذه سوى استكمال ما ينقص الكتاب، من وجهة نظري، فإذا وافقني عليها الدكتور أيوب فيها ونعمت، وإذا لم يوافقني أكون قد اجتهدت بنية الوصول إلى الصواب وكمال النفع والفائدة؛ إذ الكتاب، في أصله الإنجليزي، يبنى عن اطلاع واسع على التراث ويدل على غزارة في المعلومات، وعمق وإحاطة بجوانب موضوعه، وأحببت أن تكون الترجمة العربية على مستوى الكتاب في نصه الإنجليزي، خاصة أنه يعالج موضوعاً تراثياً، والمترجم له باع طويل في مجاله. فأرجو أن تكون ملاحظاتي السابقة مساهمة فعالة أضيفها لجهد الأستاذ الدكتور عبدالرحمن أيوب لتقريب مستوى النسخة المنقولة إلى العربية من مستواها في لغة مؤلفها. وأرجو كذلك، أن تساهم هذه

المراجعة بنصيب ما في إرساء منهجية علمية واضحة وثابتة عند نقل الكتب الأجنبية التي تعالج موضوعاً يخص تراثنا؛ حيث يجب أن يضاف، من وجهة نظري، إلى جهد الترجمة جهد التوثيق والتحقيق والشرح والتعليق ما أمكن ذلك أو لزم.

وعلى الله قصد السبيل ومنه السداد والتوفيق..

المراجع

- ١ - الإتقان في علوم القرآن: للسيوطي، ط ٢، البابي الحلبي، مصر.
- ٢ - بين العربية ولهجاتها والعبرية: د. محمد بحر عبد المجيد، مكتبة، سعيد رافت، ١٩٧٧ م.
- ٣ - الخصائص: لأبي الفتح بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، ط ٢، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت.
- ٤ - دراسة الصوت اللغوي: د. أحمد مختار عمر، ط ١، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٦ م.
- ٥ - السيرة النبوية لابن هشام: تعليق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت.
- ٦ - شرح الأشموني على الفية ابن مالك: تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة.
- ٧ - شرح شافية ابن الحاجب: للأستراباذي مع شرح الشواهد للبغدادي، تحقيق محمد نور الحسن ورفيقيه دار الكتب العلمية - بيروت، ١٩٧٥ م.
- ٨ - شرح شواهد المغني: للسيوطي، تصحيح وتعليق محمد محمود الشنقيطي، لجنة التراث العربي.
- ٩ - شرح كافية ابن الحاجب: للأستراباذي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٩ م.
- ١٠ - صفة جزيرة العرب: للهمداني، تحقيق محمد علي الأكوخ، مركز الدراسات والبحوث اليمني - صنعاء، ودار الآداب، بيروت، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٣ م.
- ١١ - فقه اللغات السامية: كارل بروكلمان، ترجمة د. رمضان عبد التواب، جامعة الرياض سنة ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م.
- ١٢ - فقه اللغة وأسرار العربية: لأبي منصور الثعالبي، دار مكتبة الحياة.
- ١٣ - لسان العرب: لابن منظور، دار المعارف، مصر.
- ١٤ - لهجات العرب: أحمد تيمور باشا، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة

١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م.

١٥- محاضرات في اللهجات وأساليب دراستها: د. أنيس فريجة، معهد الدراسات العربية العالية، جامعة الدول العربية، ١٩٥٥م.

١٦- المدخل إلى دراسة النحو العربي: د. عبد المجيد عابدين، ط ١١، ١٩٥١ - مصر.

١٧- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٨- مغني اللبيب عن كتب الأعراب: ابن هشام الأنصاري، تحقيق: د. مازن المبارك ورفيقه، دار الفكر، ١٩٦٩م.